

**التغيرات السياسية والعسكرية والاقتصادية  
بالمغرب الأوسط في ظل الهجرة الهلالية  
منتصف القرن 05 هـ / 11م - منتصف القرن 06 هـ / 12م  
خديجة بورملة<sup>1</sup>**

1- جامعة مصطفى اسطبولي معسكر  
khadidja.bouramla@univ-mascara.dz

تاريخ الإرسال: 2025/03/15؛ تاريخ القبول: 2025 /05/03

**The political, military, and economic changes  
in the Central Maghreb under the impact of the Hilalian  
migration  
from the mid-5th century AH / 11th century CE to the  
mid-6th century AH / 12th century CE,  
A. Bouramla Khadidja,**

**Abstract:**

The topic of the Hilalian migration to the Central Maghreb is both an important and sensitive subject. On one hand, it encompasses various aspects of the region's political, economic, social, and even cultural history. This is due to the fact that the migration of the Banu Hilal and Banu Sulaym tribes to Ifriqiya and the Maghreb affected multiple facets of the region and had a clear impact on them. On the other hand, the sensitivity of this topic lies in the significant challenges and questions it raises for researchers and scholars. The reason lies in the fact that writings on this subject have been divided into two perspectives: one opposing the Hilalians, portraying them in the most derogatory terms, holding them responsible for the decline of the Maghreb during that period, the destruction and ruin of many of its cities, and asserting that it transitioned from civilization to nomadism after this

migration. The main proponents of this perspective are colonial orientalist writers. The other perspective, however, defended the Hilalians and sought to do them justice by attempting to show that the Hilalian migration was not as dreadful and atrocious as orientalist claimed. Here, the researcher finds themselves confronted with a rich and highly significant topic. The Hilalian migration to the central Maghreb had direct consequences that profoundly changed many aspects of its political, military, and economic situation.

**Keywords:** Migration; Changes; Central Maghreb; Hilalians; Medieval Era.

### الملخص:

يعد موضوع الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط من المواضيع الهامة والحساسة في نفس الوقت، لأنه من جهة أولى يشمل جوانب متعددة من التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الثقافي للمنطقة، وهذا راجع إلى أن هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى افريقية والمغرب مستختلف هذه الجوانب وكان لها تأثير واضح عليها. ومن جهة ثانية تكمن حساسية هذا الموضوع في أنه يطرح إشكاليات كبيرة على الباحثين والدارسين، والسبب في ذلك يعود إلى أن الكتابات حوله انقسمت إلى قسمين: قسم يقف ضد الهلاليين ويصفهم بأبشع الأوصاف ويحملهم مسؤولية انحطاط المغرب في هذه الفترة وأنهم السبب في خراب ودمار العديد من مدنه وأنه انتقل من الحضارة إلى البداوة بعد هذه الهجرة، وأهم رواد هذا الاتجاه هم من الكتاب المستشرقين الاستعماريين، وقسم وقف إلى جانب الهلاليين وحاول إنصافهم عن طريق محاولة تبين أن الهجرة

الهلالية لم تكن بتلك البشاعة والفظاعة التي ألصقتها بها الكتابات الاستشراقية. وهنا يجد الباحث نفسه أمام موضوع خصب وذو أهمية كبيرة، فالهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط كان لها نتائج مباشرة، غيرت الكثير من أوضاعه السياسية والعسكرية والاقتصادية.

**الكلمات المفتاحية:** الهجرة؛ التغيرات؛ المغرب الأوسط؛ الهلاليون؛ العصر الوسيط.

### مقدمة:

إن دخول العرب إلى بلاد المغرب خلال النصف الأول من القرن 01هـ، النصف الأول من القرن 07 م حاملين معهم رسالة سامية هي رسالة الإسلام، يعد حدثا هاما وفاصلا في تاريخ المنطقة، وكان هذا الدخول والفتح أول اتصال للعرب بمنطقة المغرب، غير أنه لم يكن الأخير، بل سببته هجرات أخرى ذات طابع مختلف، تمثلت في هجرة المجموعات الهلالية السلمية التي انتقلت إلى أرض المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، حوالي منتصف القرن 05 هـ/ 11 م إلا أن تأثيراتها امتدت إلى عدة قرون، حيث أحدثت بالمنطقة الكثير من التغيرات التي مست جوانب متعددة من سياسية واقتصادية واجتماعية.

ثم إن الدارس لهذا الموضوع يجد نفسه أمام إشكاليات كثيرة ومتنوعة، لعل أهمها سؤال محوري هو: ما هي التغيرات التي حدثت ببلاد المغرب

الأوسط إثر هجرة القبائل الهلالية إليه ؟ أو ما هي النتائج المباشرة التي خلقتها هذه الهجرة على الحياة العامة بهذه البلاد ؟

وقد جاءت الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب في ظل سيادة الدولة الصنهاجية عليه، خلفا للدولة الفاطمية التي عهدت بحكم المغرب إلى أسرة آل زيري بن مناد الصنهاجي على إثر رحليها إلى مصر سنة 361 هـ / 972 م، ليستمر الحكم في يد الدولة الزيرية إلى أن أظهر حماد بن بلكين رغبته الاستقلالية بالمغرب الأوسط سنة 405 هـ/ 1014 م بعد أن أنشأ عاصمة دولته الجديدة القلعة، وهكذا انقسم بنو زيري يومئذ إلى فرقتين: فرقة بني باديس بالقيروان وفرقة بني حماد بالقلعة.

إلا أن هذه الهجرة قد بدأت بعد القطيعة الدينية والسياسية بين الدولة الزيرية بالقيروان والخلافة الفاطمية بالقاهرة منذ سنة 440 هـ/ 1048 م، بعد أن أعلن الأمير الزيري المعز بن باديس قطعه للدعوة الشيعية وتحوله إلى المذهب السني، وكنتيجة لذلك حرض الفاطميون القبائل الهلالية في الانتقال من صعيد مصر نحو افريقية ابتداء من سنة 442 هـ/ 1050 م.

لكن ما يهمنا هنا هو دخول هذه القبائل إلى بلاد المغرب الأوسط، حيث سيطر الهلاليون في فترة وجيزة على افريقية وعلى مدنها الداخلية والساحلية، وذلك بعد الهزيمة الكبيرة التي أوقعها العرب الهلاليون بدولة صنهاجة الشرقية وأميرها المعز بن باديس، لينحصر ملك خلفه تميم بن المعز على منطقة ساحلية حول المهديّة، وستكون النتيجة المنطقية لذلك هو

تطلع هذه القبائل نحو الغرب أي في اتجاه المغرب الأوسط حيث توجد دولة بني حماد في القلعة.

### - التغيرات السياسية والعسكرية:

لم تقدم المصادر إلا أخبارا قليلة عن الأحداث التي وقعت بالمغرب الأوسط عند دخول بني هلال إليه، حيث تقوى نفوذ بني حماد بعد هزيمة بني زيري بالمنطقة، وانتفخوا بمن هاجر إليهم من أعلام الفقه والأدب، وصارت مدينتهم وريثة لأعجاز القيروان، وللحفاظ على هذا المركز وإبعاد ضرر قبائل بني هلال عن المغرب الأوسط، أظهر الحماديون ولائهم للفاطميين ليتجنبوا تحريضهم للقبائل الهلالية ضد بلادهم (خالدي، ع. 2007: 120).

لكن سرعان ما وقع بنو حماد في نفس الخطأ الذي وقع فيه بنو زيري قبلهم، حيث حاولوا اتخاذ بني هلال أحلafa لهم للاستيلاء على افريقية، وكان التاريخ يعيد نفسه، فكرر الناصر بن علناس الحمادي في محاولته لمخالفة القبائل الهلالية ضد بني زيري، نفس ما قام به المعز بن باديس عندما أراد اتخاذ العرب أحلafa له ضد بني حماد، إلا أن كلاهما اختارا الحليف الخطأ، فكانت الكارثة على دولتيهما.

فبعد مخالفة الناصر بن علناس لقبيلة الأثبيج الهلالية، خرج سنة 457 هـ / 1065م لامتلاك افريقية في عدد كثير من صنهاجة وزناتة وعدي والأثبيج (ابن عذارى، م، 2009: مج1، 299)، كما خرج معهم المعز بن زيري صاحب فاس من مغراوة ونزلوا الأربس جميعا، ولقيتهم رياح وزغبة بفحص سببية، غربي القيروان «ومكر المعز بن زيري المغراوي بالناصر

وصنهاجة بدسياسة زعموا من تميم بن المعز بن باديس صاحب القيروان، فجر عليهم الهزيمة واستباح العرب وزناتة خزائن الناصر ومضاربه، ... ونجا هو إلى قسنطينة ورياح في أتباعه، ثم لحق بالقلعة فنازلوها وخرّبوا جنباتها وأحبطوا عروشها، وعاجوا على ما هنالك من الأمصار، ثم طبنة والمسيلة فخرّبوها وأزعجوا ساكنيها، وعطفوا على المنازل والقرى والضياع والمدن فتركوها قاعا صفصفا أقفر من بلاد الجن، وأوحش من جوف العير، وغوروا المياه واحتطبوا الشجر، وأظهروا في الأرض الفساد، وهجروا ملوك افريقية والمغرب من صنهاجة وولاية أعمالها في الأمصار، وملكوا عليهم الضواحي يتحيفون جوانبهم ويقعدون لهم بالمرصاد، ويأخذون لهم الآتاوة على التصرف في أوطانهم» (ابن خلدون، ع. 1968: 42-43).

ويشير النويري إلى أن عدد قتلى هذه المعركة قد بلغ أربعة وعشرين ألفا من صنهاجة وزناتة، وأن هذه الواقعة قد مكنت العرب من السيطرة على المغرب (النويري، ش، 2004: ج24، 123)، حيث أصبح بنو رياح يسيطرون على افريقية والأثبيج يسيطرون على المغرب الأوسط (روجي إدريس، ه، 1992: 309).

وكان أول ما قام به الأمير الناصر بن علناس كإجراء أولي بعد انهيار المدن الهامة بالمغرب الأوسط مثل القلعة وقسنطينة والمسيلة، هو التفكير في إنشاء عاصمة جديدة لدولته، فاهتدى إلى موضع مدينة بجاية، لمزاياه المتعددة من حيث الحصانة والموقع الاستراتيجي، وأهمية خليجها الفسيح الذي يسع

أسطولا ضخما، وشرع في تأسيس العاصمة الحمادية الثانية بذلك المكان ابتداء من سنة 460 هـ/ 1067م، وسماها الناصرية باسمه.

وهكذا أصبح الجزء الشرقي من المغرب الأوسط في قبضة القبائل الهلالية، وكان الجزء الغربي منه مجالات لقبائل زناتة، وهنا سيدخل هؤلاء في صراع مع بني هلال، حيث يشير ابن خلدون إلى الحروب التي وقعت بين زناتة والهلاليين فيقول: «ولما غلبوا صنهاجة اجتهد زناتة في مدافعتهم بما كانوا أملك للباس والنجدة بالبدواة، فحاربوهم وزحفوا إليهم من افريقية والمغرب الأوسط، وجهاز صاحب تلمسان من بني خزر قائده أبي سعدى اليفرنى، فكانت بينه وبينهم حروب إلى أن قتلوه بنواحي الزاب، وتغلبوا على الضواحي وعجزت زناتة عن مدافعتهم، وصار الملتحم بينهم في الضواحي بجبل راشد، ومصاب من بلاد المغرب الأوسط، فاستقر لهم الغلب ووضعت الحرب أوزارها» (ابن خلدون، ع. 1968: 42).

بعد هذه الهزيمة تراجع الزناتيون إلى تلمسان، وانحصر ملك الدولة الحمادية بالساحل ومنطقتي أشير والقلعة، أما بقية بلاد المغرب الأوسط إلى حدود تلمسان فأصبحت تحت سلطة قبائل عرب بني هلال وأهمها الأثبج ورياح وزغبة ( مؤنس، ح. 1992: 621).

هنا يمكن القول أن التغيرات والتأثيرات المباشرة للهجرة الهلالية على الخريطة السياسية لبلاد المغرب الأوسط بدت واضحة منذ منتصف القرن الخامس الهجري وإلى بداية القرن السادس الهجري (11-12م)، فمن الناحية السياسية نتج عن هجرة القبائل الهلالية إضعاف الدولة الحمادية، حتى اضطرت

الحماديون إل الانتقال إلى عاصمة جديدة غير القلعة وهي مدينة بجاية البحرية، وضعف سيطرتهم على المناطق الداخلية، وانحصار سلطتهم في المناطق الحصينة التي لا يستطيع العرب الوصول إليها، هذا إضافة إلى انحصار أملاك قبائل زناتة، وإجلاتهم إلى الصحراء.

غير أنه لا يمكن حصر التأثيرات العسكرية لقبائل بني هلال في الجانب السلبي فقط، إذ كان لهذه القبائل دورها الإيجابي في الدولة الحمادية حيث كما تمت الإشارة إليه سابقا كان الحماديون يختصون الأثبج دون سائر القبائل الهلالية بالرئاسة فأقطعوهم الكثير من أعمال الزاب والحضنة وضواحي القلعة، واستألفوا معهم زغبة، واستظهروا بهاتين القبيلتين على زناتة (الميلي، م. د.ت: 205)، ولذلك نجد بالجيش الحمادي فرقة خاصة تسمى بفرقة العرب، تتكون من القبائل العربية الموالية للحماديين، وتشكل أساسا من بني هلال من الأثبج وعدي، ينحصر دورها في تقديم الدعم والسند للدولة أثناء الحروب (حساني، م وآخرون. 2007: 73).

من ذلك أيضا مشاركة عناصر هلالية في الحملة التي قادها المنصور الحمادي على تلمسان سنة 496 هـ/ 1103 م ضد المرابطين في جيش تعداده 20000 مقاتل مؤلف من صنهاجة وبني هلال وزناتة، ففتح المنصور تلمسان وسيطر عليها بعض الوقت ثم انسحب منها بعد توقيع معاهدة للصالح (حاجيات، ع وآخرون. 2007: 170).

أما على عهد الموحدين، وبعد أن اتجهت أنظار عبد المؤمن بن علي إلى الاستيلاء على بلاد المغرب الأوسط، استشعرت القبائل الهلالية الخطر

الذي يشكله هذا التوسع، فبادروا بالهجوم على الجيش الموحد، وهنا تقول رواية ابن الأثير في حولية سنة 548 هـ/ 1153 م: «أن العرب، ... لما ملك عبد المؤمن بلاد بني حماد، اجتمعوا من أرض طرابلس إلى أقصى المغرب، وقالوا: إن جاورنا عبد المؤمن أجلانا من المغرب وليس الرأي إلا لقاء الجند معه، وإخراجه من البلاد قبل أن يتمكن، وتحالفوا على التعاون والتظاهر، وأن لا ينجون بعضهم بعضا، وعزموا على لقائه بالرجال والأهل والمال» (ابن الأثير، ع، مج 11. 1979: 96).

فاجتمعت القبائل الهلالية قرب مدينة باجة وعقدت العزم على محاربة الدولة الموحدية بدعوى الدفاع عن عرش الأمير يحيى بن العزيز، فتصدى لها عبد الله بن عبد المؤمن بما كان لديه من الجنود، وكان عبد المؤمن أثناء ذلك بمتيجة عائدا إلى مراكش، فتوقف عن السير وأرسل جيشا مكونا من 30000 فارس مددا لابنه (حاجيات، ع وآخرون. 2007: 124)، وكانت خطة الجيش الموحدى أن لا يدخل مع العرب في حرب على طراز الكر والفر التي يتقنها، بل عمل الموحدون على استدراجهم خلفهم وكأنهم منهزمون وظل العرب يتبعونهم إلى أن وصلوا إلى أرض سطيف المحصورة بين الجبال، ومن ثم حملوا عليهم حملة فجائية، وهم على غير أهبة، وذلك في غرة صفر سنة 558 هـ/ 28 أفريل 1153 م، واقتتل الطرفان أشد القتال وأعظمه، وانجلى المعركة عن انهزام العرب هزيمة فاحشة وانتصار الموحدين نصره مبينة (سعد زغلول، ع، ج 5. 2000: 394-395).

وموقعة سطيف هذه ذكرها ابن خلدون فقال: « لما غلب الموحدون سائر الدول بالمغرب سنة 541 هـ ، وزحف شيخ الموحدين عبد المؤمن إلى افريقية، ففتح بجاية سنة 559 هـ، انتفض العرب الهلاليون، فلقيتهم جيوش الموحدين بسطيف، وتواقفوا ثلاثا علقوا فيها رواحلهم، وأثبتوا في مستنقع الموت أقدامهم، ثم انتفض في الرابعة جمعهم، واستلحمهم الموحدون وغلبوا عليهم، وغنموا أموالهم وأسروا رجالهم وسبوا نساءهم، واتبعوا أدبارهم إلى فحص سبتة ثم راجعوا من بعد ذلك بصائرهم واستكانوا لعز الموحدين وغلبهم فدخلوا في دعوتهم وتمسكوا بطاعتهم » (ابن خلدون، ع. 1968: 44).

ومع هذا الاستقرار الذي حدث، أدرك سلاطين الموحدين القيمة القتالية للقبائل الهلالية، فحرصوا على توجيهها للجهاد معهم في الأندلس، ومن أمثلة ذلك ما عمد إليه عبد المؤمن في استثمار طاقاتهم وخبرتهم القتالية في مجابهة نصارى اسبانيا، حيث تكاد تنحصر المعارك التي خاضتها هذه القبائل مع الجيش الموحي في الجهاد بالأندلس، « وكان عبد المؤمن بن علي حينما أراد العبور إلى الأندلس استنفر أهل المغرب عامة، فكان فيمن استنفرهم القبائل العربية... فاستجاب له منهم جمع ضخم، فلما أراد الانفصال عن الجزيرة رتبهم فيها، فجعل بعضهم من نواحي قرطبة، وبعضهم من نواحي إشبيلية » ( المراكشي، ع. 1994: 189-190).

وهكذا كان للقبائل الهلالية دورها الفعال في رسم السياسة العامة ببلاد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، فهي وإن ساهمت في

سقوط الدولة الحمادية فقد شاركت من الناحية العسكرية في الجهاد بالأندلس وكانت مساهمتها هذه ذات أهمية كبرى.

### - التوزيع الجغرافي للقبائل الهلالية:

إن دخول القبائل الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط لم يكن بنفس القوة التي دخلوا بها إلى افريقية، ولذلك فباستثناء معركة سببية بين الحماديين والعرب، وكذا معاركهم مع زناتة لا نجد في المصادر إشارات إلى وقائع أخرى غيرها، حيث حالت حصانة كثير من مدن بني حماد والسياسة التي اتبعها أمراءهم بالتحالف مع العرب الهلالية تارة ورشوتهم بالمال تارة أخرى دون سقوط دولتهم، وقد استعصت الجبال على العرب لكنهم بسطوا نفوذهم على السهول والنجود وبسائط المدن الجبلية (عمر موسى، ع. 2003: 94-95).

وبالتالي سمحت مجريات الأحداث العسكرية والسياسة لصالح انتشار القبائل الهلالية وتمكنها من فرض هيمنتها على مجال جغرافي واسع من المغرب الأوسط، شمل في البداية الجهات الشرقية ومنطقة الزاب وأخذ في الامتداد مع مرور الزمن إلى تخوم المناطق الغربية منه، حيث اكتسحت قبائل وبطون من القبائل الهلالية ضواحي ومجالات واسعة من المغرب الأوسط فكان لكل قبيلة هلالية مضاربها وحيزها الجغرافي المعلوم وفقا لعصية وقوة كل قبيلة من جهة وعلاقتها مع الدولة الحمادية من جهة أخرى (بن عريب، م. 2021: 78).

ولمعرفة كيفية توزع القبائل الهلالية بمنطقة المغرب الأوسط يعد كتاب ابن خلدون المصدر الوحيد الذي يقوم بتعداد هذه القبائل وبطونها وفروعها وتحديد الأماكن الجغرافية التي استقرت بها ببلاد المغرب عامة، وبلاد المغرب الأوسط خاصة، ولعل أهمها هي الأثبج التي استقرت ببلاد الزاب وجبل القلعة وجبل أوراس (ابن خلدون، ع. 1968: 48-54)، ورياح الذين ملكوا ضواحي قسطنطينة، بجاية، نقاوس، مقرة، المسيلة، ومجالات الزاب وريغ وراكلا وما وراءها من القفار (ابن خلدون، ع. 1968: 69-74)، وكذا قبيلة زغبة التي اتصلت بمجالاتهم ما بين المسيلة وقبلة تلمسان (ابن خلدون، ع. 1968: 85-86)، هذا إضافة إلى قبائل بني سليم التي استقرت بضواحي مدينة بونة (ابن خلدون، ع. 1968: 141-144)، وقبائل المعقل الذين ملكوا على زناتة قصور توات وتامنطيت وورقلة، وأما الثعالبة فموطنهم متيجة.

#### - التغيرات الاقتصادية:

كان لتأثير بني هلال في الاقتصاد المغربي مظهرين: الأول سلبي تمثل في تخريب العديد من المدن وتعطيل النشاط الاقتصادي بها، والثاني إيجابي تمثل في البناء والمساهمة النشطة في بعث الحياة الاقتصادية، ولعل الأثر السلبي كان نتيجة مباشرة للهجرة وما أعقبها من حروب وانعدام الأمن الذي انعدمت معه الحكومة النظامية، فهدد البدو الطرق التجارية والطرق عموماً، فأثر هذا الحال في اقتصاد المغرب الأوسط، واختفت قلعة بني حماد

كمرکز تجاري، وقل الإنتاج الزراعي والحرفي داخل المدن (خالدي، ع.  
2007: 190-191).

غير أن أبرز تغيير أحدثته الهجرة الهلالية في المجال الزراعي عموما والرعوي  
على وجه التحديد - باعتبار هذه الأخيرة قبائل بدوية تعتمد على الرعي  
والانتجاع - هو استيلاء هذه القبائل على المجالات الرعوية للقبائل  
البربرية، مثلما حدث مع بطون قبيلة زناتة المنتشرة بين مدينتي تلمسان  
وتاهرت، التي اضطرت إلى النزوح إلى التل والصحراء والمغرب الأقصى،  
فبدخول عنصر جديد ارتفع عدد البدو في المنطقة عما كان عليه، حيث  
أضيفت إلى القبائل الرعوية البربرية قبائل أخرى عربية، وبما أن البدو  
الرحل يحتاجون إلى المراعي، كان لا بد للوافد أن يطرد من سبقه إليها  
(بلمداني، ن، 2013-2014: 79).

وقد أثر هذا التغيير بشكل سلبي على المساحات الزراعية ببلاد المغرب  
الأوسط التي انحصرت لحساب المجال الرعوي، وهو نمط العيش الذي  
عرفت به هذه القبائل، مما أدى في النهاية إلى سيطرة القبائل العربية على  
مساحات واسعة من الأراضي الزراعية التي حولتها إلى أراضي رعوية،  
حيث تشير الكثير من المصادر الجغرافية إلى سيطرة قبائل العرب على  
بوادي الكثير من المدن.

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره الادريسي عن حصن بادس القريب من  
المسيلة بأن العرب تملك أرضه وتمنع أهله من الخروج عنه إلا بخفارة رجل  
منهم، وعن مدينة ميلة يقول أن العرب تتحكم في الأراضي الواقعة

خارجها، كما يذكر بأن المجال المتصل بين قسنطينة والقل هي أراضي تغلب عليها العرب، وأن أرباض مدينة باغاية خالية بسبب إفساد العرب لها، وأن أرض مدينة مجانة قد تغلبت العرب عليها (الادريسي، أ، 1983: 165، 166، 169، 177، 194)، وهو نفس قول الحموي عن مدينة تبسة، حيث يذكر أن بينها وبين سطيف ست مراحل في بادية تسكنها العرب (الحموي، ي، 1977: مج 1، 13).

غير أنه من جهة ثانية لا يمكن إنكار أن القبائل الهلالية، وبعد استقرارها ببلاد المغرب الأوسط، عملت على تنمية ثورتها الحيوانية، خاصة من الإبل والخيول، نظرا لخبرتهم الواسعة في هذا المجال باعتبارهم بدو رحل يرتزقون من لحومها وألبانها وكسوتهم وأثاثهم من صوفها ووبرها.

ومن الأمثلة عن مساهمتهم في تنمية الثورة الحيوانية وتزويد الجيوش بما تحتاجه منها، نذكر اعتماد الدولة الموحدية في تجهيز جيوشها من الخيول على المغرب، فعبد المؤمن الموحي أمر بجلب الخيل من افريقية، أما ابنه يوسف فقد أمدته افريقية سنة 566 هـ/ 1170م بأربعة آلاف فرس وتلمسان بألف فرس (أبو ضيف عمر، م. 1982: 309-310).

- النشاط الفلاحي: وإلى جانب دور العرب في تنمية الثروة الحيوانية ببلاد المغرب زاول من استقر منهم الفلاحة، فكثير من القبائل الهلالية ولعدة أسباب استقرت على طول امتداد بلاد المغرب من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وساهمت بعد تخريبها لكثير من المناطق الزراعية في إعادة الحياة إليها عن طريق ممارسة الفلاحة، حيث أن كثيرا من قبائل العرب

الهلالية استقرت ببلاد الزاب ومارست فيه زراعة النخيل، وبعد أن استقرت رياح في منطقتي الهضاب والصحراء من عمالة قسنطينة عنوا بالفلاحة وتربية المواشي، فكثروا واعتزوا وسرعان ما اندمجوا مع بقية السكان وساهموا في التنمية الاقتصادية ببلاد المغرب سواء عن طريق احترافهم للزراعة أو الرعي ( أبو ضيف عمر، م. 1982: 316-322).

- النشاط التجاري: سيطر العرب على طرق التجارة فيما بين افريقية وبلاد المغرب والسودان، حيث سيطروا على الطريق الذي يمتد من الشمال من افريقية ويتجه جنوبا عبر الصحراء إلى السودان، والطريق الثاني الذي يمتد من المغرب الأقصى عبر السنغال متجها إلى السودان (أبو ضيف عمر، م. 1982: 322-323)، فهيمن عرب بني حسان على الطريق الساحلي عبر حوض السنغال وهو الطريق الذي سبق أن سلكه المرابطون، كما تحكمت مختلف القبائل العربية في الطريق الثاني الخاص بالواحات، ففي الجزء الأول منه سيطر الدواودة من رياح على مجالات الزاب وريغ وواركلان وما وراءها من القفار، واشترك معهم بنو عامر بن زغبة، أما بالنسبة للجزء الثاني منه فقد ورث عرب المعقل قصور زناتة بالصحراء، لذلك كانت لإمارة بسكرة صلات تجارية مع أهالي البوادي وما حوّلها من الأوطان ( خالدي، ع. 2007: 193).

ونتيجة لسيطرة القبائل الهلالية على طرق التجارة الكبرى، لم يكن لأحد من المشتغلين بالتجارة التنقل والعبور بطريق القوافل إلا بحراسة وخفارة من عرب بني هلال، ولعل التغير الكبير الذي أحدثه العرب في الطرق التجارية ببلاد المغرب الأوسط هو ما حدث تقريبا مع بداية القرن السادس

الهجري عندما انتقلت تجارة المغرب من الطرق البرية إلى الطرق والمسالك البحرية، وهو ما أدى في النهاية بسلطات المغرب الاسلامي عموما إلى الاهتمام بالأسطول البحري، وتقوية نفوذها البحري التجاري بالبحر المتوسط، الذي سيشهد عملية مبادلات تجارية كبرى سواء كانت محلية مع بقية البلدان الاسلامية أو مع مدن ودول أوروبا.

نستخلص مما سبق أن القبائل الهلالية وإن أضرت باقتصاد بلاد المغرب الأوسط إثر هجرتها إليه فإنها سرعان ما أخذت في المساهمة في إعادة بناء هذا الاقتصاد عن طريق تنمية الثروة الحيوانية وممارسة الزراعة، خاصة بعد الاستقرار والاندماج الذي حصل بينها وبين السكان الأصليين.

#### الخاتمة:

إن دخول القبائل الهلالية إلى بلاد المغرب الأوسط خلال منتصف القرن الخامس الهجري، لم يعد من الحوادث الفاصلة في تاريخه، حيث أحدثت هذه الهجرة انقلابا عظيما من حيث الاقتصاد والسياسة والمجتمع وال عمران، وهنا يمكن الخروج من دراسة هجرة قبائل بني هلال وبني سليم إلى المغرب الأوسط بمجموعة من النتائج أهمها:

- امتدت المناطق التي سيطرت عليها القبائل الهلالية ببلاد المغرب من برقة وطرابلس شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، وبالتالي وإن كانت وجهة هذه القبائل في بداية الأمر هي السيطرة على افريقية، فإنها سرعان ما توجهت بأنظارها إلى المغرب الأوسط والأقصى، فدخلوها إلى المغرب الأوسط كان نتيجة لتكاثر أعدادها بافريقية، وبسبب الخطأ الذي وقع فيه الأمير

الحمادي الناصر بن علناس عندما أراد استعمال هذه القبائل في السيطرة على أملاك بني عمه بني زيري.

- انتشرت القبائل الهلالية من بني هلال وبني سليم والمعقل في كامل المغرب الأوسط واستطاعت السيطرة على مناطق عديدة منه، خاصة المناطق الداخلية أين تمكنت من الاختلاط بالقبائل البربرية وهذا راجع إلى التشابه في العادات وطريقة العيش، حيث حافظت القبائل العربية ببلاد المغرب على الكثير من عاداتها وتقاليدها وشخصيتها وطريقتها البدوية في العيش التي تعتمد أساسا على التنقل والترحال طلبا للرزق والكلأ والماء لأنعامها التي تعتبر أساس ثروة البدوي.

- كانت علاقة القبائل الهلالية بسكان بلاد المغرب علاقة تأثير وتأثر ولكن تأثير هذه القبائل بهذه البلاد كان واضحا، فمن الناحية السياسية كان دخول هذه القبائل إلى المغرب الأوسط إيذانا ببداية النهاية بالنسبة للدولة الحمادية، إلى أن جاءت الدولة الموحدية التي عملت على توحيد مناطق المغرب الإسلامي، وأوقفت القبائل الهلالية عن أعمال الفساد والتخريب التي اعتادت عليها إثر فقدان الحكومة النظامية أو ضعفها.

- لم يشمل التأثير الهلالي على اقتصاد بلاد المغرب الأوسط الناحية السلبية فقط بل كان للهجرة الهلالية إلى هذه المنطقة بعض الآثار الإيجابية كتسمية الثروة الحيوانية والمشاركة في تطوير الزراعة والسيطرة على الطرق التجارية وحمايتها.

المراجع:

- ابن الأثير عز الدين أبو الحسن (1979)، الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر.
- الإدريسي أبو عبد الله (1983)، القارة الافريقية وجزيرة الأندلس، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق، تحقيق اسماعيل العربي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- بلمداني نوال (2013-2014)، نظام الرعي في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (4-5 هـ / 10-11م)، رسالة دكتوراه غير منشورة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الاسلامي، جامعة وهران، الجزائر.
- ابن خلدون عبد الرحمن (1968)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر ومكتبة المدرسة.
- حاجيات عبد الحميد وآخرون (2007)، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- خالدي عبد الحميد (2007)، الوجود الهلالي السليمي في الجزائر، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع.
- عبد الحميد سعد زغلول (2000)، تاريخ المغرب العربي، الموحدون: مصامدة السوس الجباليون ورثة المرابطين، تأسيس الدولة وقيامها (550-558 هـ/ 1100-1163 م)، الاسكندرية، منشأة المعارف.
- ابن عذاري المراكشي (2009)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية.
- بن عريب مصطفى (2021)، «التوطين الهلالي بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي من منتصف القرن 5 هـ/ 11 م إلى منتصف القرن 6 هـ/ 12م». مجلة البحوث التاريخية، جامعة محمد بوضياف - المسيلة، مج 5، العدد 2، ص.ص 70-94.

- عمر مصطفى أبو ضيف أحمد (1982)، القبائل العربية في المغرب، في عصري الموحدين وبني مرين، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
- مؤنس حسين (1992)، تاريخ المغرب وحضارته، من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر، من القرن 06 إلى القرن 19 الميلاديين، ط1، بيروت، دار العصر الحديث للنشر والتوزيع.
- مختار حساني وآخرون (2007)، التاريخ العسكري للجزائر من الفتح الإسلامي إلى القرن 16 م، الجزائر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
- المراكشي عبد الواحد (1994)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، القاهرة، دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
- موسى عز الدين عمر (2003)، النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، خلال القرن السادس الهجري، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- الميلي مبارك بن محمد (د.ت)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الجزائر، مكتبة النهضة الجزائرية.
- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (2004)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الهادي روجي إدريس (1992)، الدولة الصنهاجية: تاريخ افريقية في عهد بني زيري، ط1، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
- ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله (1977)، معجم البلدان، بيروت، دار صادر.

للإحالة على هذا المقال:

الكاتب، (السنة)، «عنوان المقال». المواقف، المجلد: ، العدد: ، الشهر السنة،  
ص. ص.